ديانـــــا

بـورتـريـــه

عبر أمسية من أمسيات الضجر والملل، ورغبة فى اثبات أن الرجل رجل والمرأة أنثى، عبر عملية آلية جنسية بين آدم، أيا كان آدم، وبين حواء أيا كانت هى، جاءت الطفلة ديانا إلى الدنيا، دون ذنب ارتكبته، وربما دون رغبة فى التواجد أن تكون، فى أول شهر يوليو عام ألف وتسعمائة وواحد وستين، بعد ظهر يوم ركضت فيه السحب مثل الخيل، وإزداد عدد ضحايا الزنا فى أزقة لندن، وتبارى أصحاب القبعات العالية فى المديح الكاذب حول امبراطورية القراصنة القدامى ما بين بحر الشمال وفسيح المحيط، وسط بحر من التساؤلات والإجابات أمام الطفلة الولود، وفقاً لحكمة قول العقل، منذ أن تولد تموت، فى أسرة واسعة الثراء، عريقة فى تاريخ القرصنة والإستيلاء على أراضى ومنافع ممتلكات الغير، عبر عهد الاستعمار الإنجليزى القديم، من أب وأم بلغ الفارق العمرى بينهما ربع قرن من السنين تقريباً، حين كان الأب الثورب قد بلغ السابعة والثلاثين من العمر، وبلغت والدتها الخامسة والعشرين من عمرها.

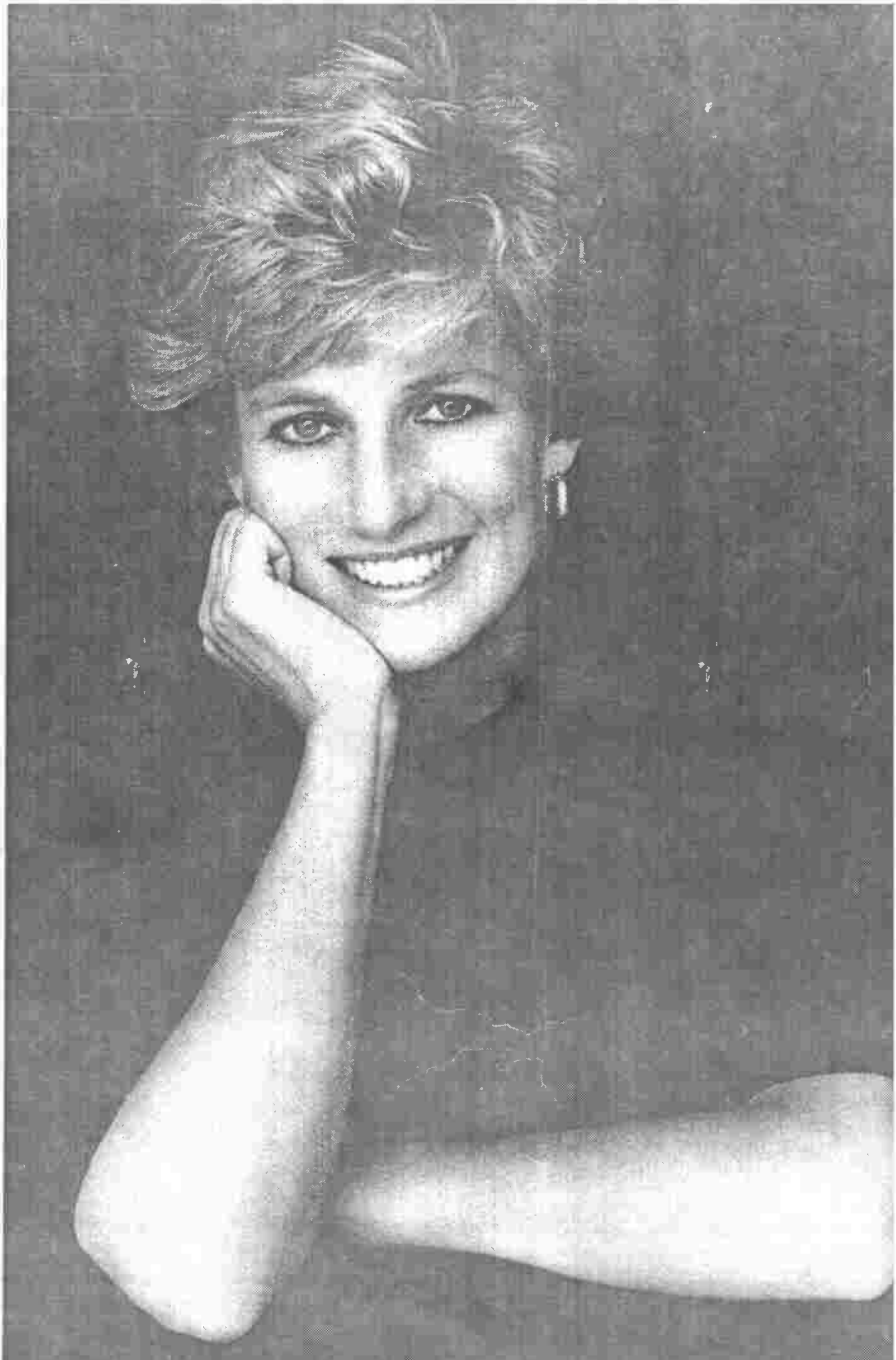

ولقد عانت ديانا كثيرا من هذا الفارق، عبر معاملة كل منهما لها، وعبر معاملة كل منهما للآخر، خاصة عند ما ولدت الأم إبنا، تشارلز، الذى عاملاه عبر الفارق بين معنى الذكر ومعن الأنثى عندهما، وحولاها إلى مرتبة ثانية بعد أن أحتل تشارلز القمة والمرتبة الأولى، لأنه هو الذى سيحمل إسم العائلة عبر إسم ايرل سبنسر، وسط أسماء شهيرة من العائلات الثرية وطموح النسب للعائلة المالكة البريطانية، سواء من جانب آل فيرموى، عائلة الأم، أو من جانب آل سبنسر، عائلة الأب، ورغم هذه الهالة من الثراء الفاحش، ورغم امتلاك هذه الأسرة قصر الثروب، وقصر بارك هاوس وغيرهما، إلا أنها لم تكن أسرة سعيدة، بالمعنى الحقيقى للسعادة، ولذلك انتهت حياة الأب وحياة الأم بالإنفصال، مما كان له أثره الكبير والعميق فى حياة ديانا، خاصة من الناحية الوجدانية والناحية الإجتماعية، بعد فترة زواج دامت أكثر من عشر سنوات.

وبدأت تتساقط سمعة الأسرة الارستقراطية، خاصة من جانب الأم، التى أصبحت عشيقة لرونالد فيرجسون، الذى كان يهيم بها حبا قبل أن تتزوج، وبعد أن طلقت أعادت سيرة حبها القديم مع رجل متزوج، طلق زوجته وتزوج أمها، دون أدنى رابطة ودون أية مشاعر متبقية، عبر حياة خلت بالوحدة والغربة والترقب والحذر والخوف فى داخل عقل وقلب الصغيرة ديانا، التى عانت كثيراً فى حياتها المدرسية التى لم تستكملها وحالت دون تفوقها فى المواد الدراسية، بينما شغفت وجدانياتها بالفن فى صوره التعبيرية العديدة مثل فن الرقص الإيقاعى والبالية.

* * *

لم تنس الطفلة ديانا وقع خطوات أمها «فرانسيس» الأخيرة وهى تغادر بيت الأسرة بلا رجعة، فقد سقط فى داخلها معنى حنان الأمومة، ومعنى الدفاع المستميت فى الحفاظ على هذا المعنى الجميل، فى مضمون معنى الأسرة، وفى المضمون المعاكس وهو تفتت الأسرة، وذهاب الأب إلى إمرأة أخرى، وذهاب الأم إلى رجل آخر، وبقيت ديانا خارج نطاق العطف والحنان الأسرى، فى سن كان أولى بالحنان والرعاية والدفء الأسرى، الذى استغنى عنه بعالم من الخدم والمربيات من سواقط القيد الأخلاقى،

واستبدل الأصل بالصور التى فقدت مصداقية تواجدها فى قلب وعواطف الطفلة ديانا ذات العينين اللامعتين والشعر الذهبى وطابع المرح والإنطلاقة التى بدأت تغيب فى تاريخ أيام طفولتها حتى أصبحت عروساً.

كانت ديانا تعيش الوحدة رغم أن لها أختا أكبر منها أسمها «سارة» ولها أخا يسمى «تشارلز»، ولها صديقات يتوافدن عليها فى بيتها فى لندن، ألا أنها كانت تعيش وحيدة، داخل نفس عذبتها الصحبة وحقيقة العلاقات بينها وبين الآخرين، حيث كانت فى حاجة ماسة إلى الآخرين، خاصة أختها سارة التى بعدت عنها وهى فى أمس الحاجة إليها، حيث كانت سارة على علاقة بالأمير تشارلز، الذى كانت تراقبه من بعيد فى حدائق القصر، وهو ينفرد بسارة تحت الأشجار وفى الطرقات الضيقة الزاهرة حيث كانت سارة تنسى تماماً أختها الصغيرة ديانا، التى لم يدر فى خلدها ولو للحظة واحدة أن عشيق أختها الأمير تشارلز سيكون زوجها، بدلاً من زواجه من أختها الكبيرة سارة، التى كانت ترافقه دائماً فى رحلاته الطويلة البحرية وعلى العكس كانت ديانا طفلة ثم فتاة رومانسية حالمة تحلم بالأمير المستحيل، وتعيش فى أروقة قلاع الحصون الوسطى القديمة، تنفرد بذاتها، وتخشى الوقوع فى شرك أى تجمع رجالى أو نسائى، تنفر من أغلب تقاليد الارستقراطية الملكية أو العائلية، تقبل على كل ما هو بسيط محاوراً تلقائيتها فى معاملة الحيوان والإنسان، ولو قدر لديانا أن تذهب كثيراً إلى الأحياء الشعبية لعاشت فيها طلقة الروح، وافدة إلى الجماعة منصهرة فيها، بعيدة عن الوحدة والحزن المقيم فى فؤاد أسرة آل سبنسر، ومن هنا وافقت أن تعمل أى شيئ، أن لا تكون سجينة الظمأ إلى الأمومة المفتقدة، وإلى الأبوة التى ضاعت من بين أصابعها عندما تزوج والدها من أخرى، وقبلت أن تعمل منظفة حجرات عند لوسيندا هارفى، إحدى صديقاتها، عبر صداقة أختها سارة بها.

ومن الغريب فى أمر هذه الأخوة بين الأخت الكبرى سارة والأخت الصغرى ديانا، أن هذه الكبرى لم تحاول أن تعوض حنان الأم فى أختها ديانا، بل على العكس تماماً تركتها وحدها تعانى هذا الظمأ لحنان الأم، ودفع الآخرين أن يفعلوا مثلها، وتحرضهم

على كراهية ديانا، وليس أدل على هذا من أن سارة دفعت صديقتها لوسيندا هارفى كيريج أن تعامل ديانا بخشونة وهى تعمل فى منزلها، حتى كلفتها بتنظيف كل حجرات منزلها، وكى ملابسها، وترتيب سريرها القذر من آثار عشاقها، وفى هذا الوقت أيضاً بدأ فشل أختها سارة، عبر علاقاتها المتعددة مع أصدقائها، خاصة مع الأمير تشارلز، ومع عشيقها نيل ماكوكديل، أحد الفتية من ضباط الحرس الملكى والذى كانت تتوقع أن يكون زوجا لها، بعد فشل زواجها من ولى عهد بريطانيا، واستطاعت من خلال سيل من الفضائح الأخلاقية معه أن تتزوجه، مما أرضى ديانا نفسيا وعصبياً أمام رغبتها الملحة فى داخلها أن يأتى أحد الفرسان ويأخذها فوق حصانه ويطير بها إلى بلاد السندباد وجاء السندباد، ليس سندباد الشرق، لكنه سندباد الغرب الملقب باسم تشارلز، فمن هو تشارلز، رغم أننا نعرف إنه ولى عهد التاج البريطانى بعد رحيل الملكة اليزابيث.

* * *

تشــــارلـز

بـورتـريــه

هو واحد من الإنجليز الذين حكموا بلادنا منذ عام ١٨٨٢ ، فى السادس من يوليو، عند ما ضرب الأسطول الإنجليزى مدينة الإسكندرية، بعد أزمة الحركة العرابية مع الخديوى توفيق وأتباعه من الخونة الأتراك والمصريين، ولم يخرج هؤلاء الإنجليز من بلادنا إلا بعد أكثر من سبعين عاماً عام ١٩٥٦ على يد زعامة ثوار ثورة يوليو وقائد ثورتها جمال عبد الناصر إبن الإسكندرية. عبر كل هذه السنين حصد الإنجليز حياتنا، وأهدروا دماءنا، وتاجروا فى ثرواتنا، التى نقلوها إلى قصور حكامهم، ملوكهم وملكاتهم، من بين قصر باكنجهام الذى يؤدى إلى ميدان ترافا لجار، المقر الرسمى للحكم الملكى فى لندن، والذى شيده دوق باكنجهام، ليقضى فيه لياليه وصخبه ومجونه مع عاهرات لندن، حتى استولى عليه الملك جورج الخامس عام ١٧٦٢ ، وبرج لندن القائم الملئ بالخنادق والغربان، إلى قصر كيسنسينجتون الذى عاصر وفاة الملك جورج الثانى، وولادة الملكة فيكتوريا، والملكة مارى والملكة مارى الثانية التى اقترنت بويليام الفاتح،

إلى قلعة ويندرسور الذى شهد مأساة الملك جون الذى أجبر على توقيع «الوثيقة العظمى» أو الدستور الذى كان غير راغب فيه، ونفس القصر الذى مات بين جدرانه الملك ألبرت زوج الملكة فيكتوريا عام ١٨٦١ قبل احتلال الإنجليز لمصر بحوالى عشرين عاماً، من هؤلاء جاء تشارلز إبن الملكة اليزابيث ليكون ولى عهد بريطانيا، حتى يتوج ملكاً بعد أن ترحل أمه.

* * *

جاء تشارلز وليد حكم أمه وجدته الملكة فيكتوريا، التى ظلت جالسة فوق عرش بريطانيا أكثر من نصف قرن من الزمان، ذات جذور ألمانية، عبر زواجها من الأمير ألبرت حاكم سكسونيا، وتدور الدوائر وتحارب ألمانيا بريطانيا، أثناء الحرب العظمى، حين تواجه التضاد، ووقف وجهها لوجه أمام معنى التحضر، حين فقدت القيم الإجتماعية مكانها، وانخلعت جذور الأسر الحاكمة قيمتها أمام مآسى شعوبها، حتى أضحت الأسرة الملكية البريطانية عبئا ثقيلاً فى عيون كل من فقراء انجلترا وألمانيا، وقد إنعكس هذا السلوك الآثم على جميع أفراد هذه الأسرة، مثل مأساة الملك ادوارد الثامن، عندما ترك كرسى عرش بريطانيا فى سبيل حبه لإمرأة أمريكية، أتقنت النوم مع الرجال، وأتقنت لعنتها مع عم الملكة اليزابيث الثانية، حين ترك لندن، وأقام فى باريس معها عبر نقطة سوداء فى تاريخ بريطانيا العظمى، عندما خان ادوارد الثامن بلاده، وتحالف سراً مع ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية، فى سبيل أن يعود إلى مكانه الملكى فى قلب لندن، ومن هذه الجذور جاء تشارلز، عبر أخطاء وخطايا «دوق وندسور» الذى كتب قائلا فى مذكراته (اجتمع مجلس البلاط وقرر دفن الملك القديم، ونادى بحياة الملك الجديد! واقسمت أن ارع نظام الحكم الدستورى، وتقضى التقاليد أن يعلن تنصيب الملك الجديد فى أربعة ميادين، وأعددت لواليس سمبسون شرفة فى قصر «سان جيمس» لتطل منها مع بعض اصدقائى على مواكب التنصيب. وجلست فى الصالون الأخضر انتظر، ثم ساءلت نفسى لماذا لا أشاهد أنا أيضاً موكب تنصيبى!. فأسرعت إلى الشرفة التى تقف فيها ولواليس سميسون، ووقفت بجانبها نشاهد الموكب، ونسمع المنادى ينادى

«أن الأمير العظيم القوى ادوارد» قد أصبح ملك بريطانيا العظمى، وايرلندا، والدومنيون عبر البحار، وحامى حمى الدين، وامبراطور الهند!.

وكان الحفل بهيجاً والمنظر جميلاً اخاذاً، وكان الجنود بملابسهم الملونة يدقون الطبول فى نغم قوى مثير، وقد أخذنى هذا المنظر، وأثر فى مشاعرى، وشعرت برهبة وروعة، ثم شعرت بالسعادة لأننى أصبحت ملكاً على الشعوب التى عرفتها عن كثب وعاشرتها عن قرب. ولما أنتهى الموكب، قلت لواليس:

- أنه موكب فاخر.

فأجابت واليس وهى تنصرف:

* أنه جميل فعلاً، ولكن أخشى ما اخشاه أن يفرق هذا الموكب بينى وبينك! أن حياتك القادمة ليست بالسهولة التى كنت اتصورها!

وافترقنا بضعة أيام، وكانت أياما حزينة!

وجاءتنى والدتى وطلبت منى أن لا يتأخر دفن والدى أكثر من أسبوع واحد، وكانت التقاليد تقتضى بأن لا يدفن قبل أربعة أسابيع، وأمرت بتنفيذ رغبة أمى!.

ومن فوق برج قصر سان جيمس، ارتفع العلم الملكى، معلنا أن حياتى الحرة كأمير قد انتهت!، ونصحنى سكرتير والدى أن انقل مكتبى إلى الصالون الأخضر، واستجبت لنصيحته برغم أن أشعة الشمس كانت لا تدخل من نوافذ الصالون إلا فى الأعياد الرسمية!. ولو أننى كنت حراً، لوضعت عربة أبى «الروبابيكيا» فى الكاراج ولكن قيل لى أن التقاليد تقضى أن اركبها فى جميع تنقلاتى!. وقد استقبلت كملك استقبالاً عظيماً بفضل الصحافة والحكومة، وقد تعاونت هاتان الهيئتان القويتان بعد تسعة أشهر، على أنهاء عهدى الملكى!

فيوم توليت العرش عددت جريدة «التيمس» - صاحبة النفوذ - صفاتى الكثيرة وفضائلى العديدة التى يحملها هذا الملك الشاب ستضطره فى يوم من الأيام إلى أن يبحث عن شريكة له تقاسمه الحمل الثقيل!».

ولما وجدت الشركة بعد تسعة أشهر هاجمتني جريدة التيمس! وسار المستر بلدوين رئيس الحكومة في ذيل جريدة «التيمس»، فيوم توليت العرش قال في مجلس العموم:

- أن هذا الملك واسع الخبرة عميق ، ولكن أي نوع من الملوك كنت أود أن أكون ! كنت أريد أن أكون لا ملكاً ناجحاً فحسب، بل ملكاً عصرياً .. لقد أطلقت عليّ الصحف، وأنا أمير، لقب سفير بريطانيا المتجول، والبائع المتجول الأول في بريطانيا!.

ولقد كانت أمنيتي أن احتفظ باللقبين وأنا جالس على العرش، كنت أريد أن أكون سفير الدولة لدى الشعب، وكنت أريد أن أعرض بنفسي عظمة بلادي على العالم.

ولقد ساهم الشعب في نجاحي كأمير وكانت امنياتي وقد أصبحت ملكاً أن أرد للشعب جميله العظيم. ولم تكن لي مطامع .. لم أحلم بأن أدخل التاريخ بأسم «ادوارد المصلح» أو «ادوارد المبتدع» .. ولم أفكر في أحداث انقلاب جرئ في نظام القصر، وكل ما خطر ببالي هو أن أفتح نوافذ قصر الملك، ليدخل بعض الهواء النقي، الذي اعتدت أن أتنفسه وأنا أمير شاب!.

وأردت أن أفسر «الملكية» على غير ما فسرها آبائي وأجدادي، حتى تصبح أكثر ملاءمة للعصر الذي أعيش فيه، وحتى أطبع العرش بطابع جديد وعقلية مبتكرة.

ولقد أكتشفت خلال عهدي القصير، أن الاعتقاد بأن الملك لا يخطئ يقوم على افتراض واحد، وهو أن الملك الجديد لا يخطئ إذا فعل بالضبط ما فعله الملك القديم!.

فلقد ضقت ذرعاً ذات يوم بالعربة الملكية «الروبابيكيا» فقررت أن أفعل ما يفعله غيري من أفراد الشعب، فسرت في الشارع على قدمي، وكان الجو ممطراً، فحملت مظلة في يدي، وتصادف أن كان أحد مصوري الصحف سائراً في نفس الطريق، فالتقط صورتي. وأعجب الشعب بأن ملكه شاب شعبي، ولكن الحكام الحقيقيين ثاروا على هذه الشعبية، وقال أحد زعماء حزب المحافظين - وهو من أصدقاء مستر بلدوين المقربين - قال لواليس سمبسون:

* قيل أنك تعرفين الملك!

فقالت واليس:

- نعم أعرفه .

فقال الزعيم المحافظ:

* هل رأيت الصورة التى نشرتها له الصحف وهو يسير على قدميه تحت وابل المطر.

وقبل أن تقول واليس أنها صورة شعبية جميلة ، قال الزعيم:

* مادمت تعرفين الملك، فلماذا لا تطلبين إليه أن يكون حريصاً فى المستقبل عندما يلتقط له المصورون صورة!

ولكنى سكت، وكتمت ما فى نفسى!

وهكذا بدأت العلاقة بينى وبين الرجل الذى يسبق رئيس وزارتى فى البروتوكول!، كانت بداية سيئة، ولكن هكذا بدأت!

ولا شك أن كبير الأساقفة تنفس الصعداء عندما خرج من عندى، فقد تنفست أنا أيضاً الصعداء! ولما خرج كان هواء الحجرة ثقيلاً مقبضاً، وشعرت أن حديثه لم يكن مرتجلا، ولم يكن ابن ساعته، وإنما كان حديثاً مرتبا من قبل! وكان الحديث حول سلوكى الشخص، هو بذرة الخلاف الذى تفاقم بينى وبين كبير الأساقفة.

ولقد انسجم الوزراء مع أبى، وبعد حكم دام نصف قرن اعتقدوا أن أبى كان الملك النموذجى، وأن الملك الجديد يجب أن يسير ويفكر ويتكلم كالملك القديم وإلا فهو ملك نشاذ! ونسى هؤلاء الوزراء أن الدنيا تتغير والإنسان يتطور وإن ملكهم الجديد إنسان، وليس أكلشيها من نحاس لصورة والده!

لقد بدأت عهدى وأنا واسع الآمال بأننى سأكسب أصدقاء والدى، ولكن ظهر لى من اليوم أننى لن أحقق صورة الملك التى رسخت فى عقول الجيل القديم، مهما قلدت أبى فى طريقة حكمه، وفى حبه لرياضة اليخوت، وحتى فى جمع طوابع البريد!

ولقد قال البعض أن حظى السيئ كان السبب فى نزولى عن العرش وهذا ظلم فادح لحظى ونجمى.

فأن المسؤول الحقيقى عن كل ما حدث هو أننى كنت أعيش فى القرن العشرين، وكان رئيس وزارتى يعيش فى القرن التاسع عشر، فأنا كنت مؤمناً بالله كأبى، ومقدراً لواجباتى كأبى، ولكننى كنت أريد أن أعيش كأنسان لا كمعبود، كنت أريد أن يعرف الشعب أن الملك الجديد هو نفس الأمير الإنسان، الذى شاهده يسقط عن ظهر جواده كما يسقط باقى الناس، ويحب كما يحب أبناء الشعب، ويتنفس الهواء كما يتنفس الأفراد!.

وسنحت لى فرصة أصارح فيها الشعب وأقول له أن التاج لم يغير الأمير الشاب الذى عرفه، فقد اقترحت الحكومة أن أذيع على الشعب كلمة فى يوم أول مارس سنة ١٩٣٦. وجرت التقاليد الدستورية أن يكتب وزير الداخلية خطب الملك حتى تطمئن الوزارة إلى أن كلمات الملك لا تتناقض مع سياسة الوزارة. وأرسل لى وزير الداخلية مشروع خطاب مكتوب بلغة حكومية جافة، ليس فيها روح ولا حياة!

وأعدت كتابة الخطاب بأسلوبى الخاص، ولكن لما راجعته شعرت أنه لا يزال جافاً، وأن الشعب سيرى وجه وزير الداخلية من بين سطور هذا الخطاب، فقررت أن أضيف إلى الخطاب فقرة جديدة تعبر عما فى قلبى لا عما فى رأس الوزير!

وأرسلت الجزء الأول من الخطاب إلى وزير الداخلية، واحتفظت بالجزء الجديد فى جيبى.. ولم أقصد بأخفاء هذا الجزء عن وزرائى، أن أتعمد اهانتهم أو أحاول تجاهلهم، أن شيئاً من هذا لم يخطر ببالى، كل ما أردته هو أن أفاجئ الوزراء! والدليل على حسن نيتى أننى أضفت الفقرة التالية وهى:

* أنكم تعرفوننى كأمير أكثر مما تعرفوننى كملك، وتعرفون أننى طفت حول العالم،

وشاهدت أحوال الشعوب عن كثب، وبرغم أنني أتحدث إليكم الآن كملك، إلا أنني ما زلت نفس الرجل الذى عرفتم أن هدفه الأول فى الحياة أن يعمل لرفاهية زملائه من أفراد الشعب».

وشعر كل فرد من أفراد الشعب أنني أفتح له قلبى، ولكن هاج وزير الداخلية وثار رئيس الوزراء.

ولماذا كل هذه الثورة .. وكل هذا الهياج؟ لأن الملك فتح قلبه لشعبه.

وفى جزء آخر من هذه المذكرات قبل نهايتها يقول «دوق وندسور» (الهند ، ثم نسخة لكل دولة من بلاد الدومنيون، وكان السكون مخيماً على جو الحجرة، ولم يكن يقطعه إلا صرير القلم، وصوت حفيف الورق، وكنت أحسن وأنا أوقع كل ورقة أن ماسة تقع من تاجى، ولما وصلت إلى الورقة الأخيرة أحسست بأن التاج قد خلا من الماس، وبدأ أخف من الورق!، فعندما وقعت الورقة الأخيرة لم أعد ملك بريطانيا وأن كان قد تقرر تأجيل توقيع الأوراق الخاصة بنقل حقوق العرش إلى أخى حتى اليوم التالى!.

والسر فى هذا التأخير هو الدستور العجيب، فقد كان هذا الدستور يقضى بأن أقدم للبرلمان ما يثبت أنني نزلت بمحض إرادتى عن العرش قبل أن أنقل وراثة العرش إلى أخى!.

ولما انتهيت من التوقيعات، سرى فى القاعة همس خفيف كالهمس الذى تسمعه فى المسرح عندما يموت البطل. وقدمت الأوراق لأشقائى ليوقعوا بأمضاءتهم ويشهدوا أنى كنت متمتعاً بجميع قواى العقلية عندما وقعت عليها، وأمسك أخى برتى «جورج السادس» القلم ورأيت القلم يهتز بين يديه، وأحسست أنه يبذل جهداً غير عادى ليكتب أمضاء بسيطاً، أحسست أن قلمه لا يطاوعه على أمضاء ورقة تنقل تاجى إليه. ولكن قلت له بحزم:

* وقـــع

فوقع برتى الأوراق

وأمسك أخى الدوق جلوستر القلم ووقع على الأوراق بسرعة. وأعطيت القلم لأخى الصغير جورج، وقد وقع أخى الصغير لى كل ورقة بقلم الحبر، ولكن دموعه اختلطت بحبر قلمه!.

وساد القاعة صمت مخيف، وحاولت أن أقطع هذا الصمت بأى عبارة، بأى كلمة، بأى حركة، ولكن الحروف وقفت فى حلقى!.

وأنقذتنا من هذا الهدوء المقبض دقات جرس التليفون، وكان المتكلم رئيس الوزراء. وطلب المستر بلدوين أن يتحدث إلى صديقى والتر مونكتون، وقال له:

- أرجو أن تسأل الملك عما إذا كانت عنده نقاط معينة فى المحادثات التى جرت بينى وبينه، يود جلالته أن أبرزها فى خطابى الذى سألقيه مساء اليوم فى البرلمان. وأقفل والتر التليفون وأبلغنى سؤال رئيس الوزراء !.

فقلت له فى دهشة:

* هذا تلطف غريب من رئيس الوزراء، أنه يريد أن يثبت لى حتى النهاية أنه جنتلمان!.

وجلست فى القاعة أفكر فى النقاط التى أود أن يبرزها رئيس الوزراء للشعب!. ولم يكن التفكير سهلاً، فقد كان رئيس الوزراء يكتب عادة خطب الملك، وهذه أول مرة يساهم فيها الملك فى كتابة خطب رئيس الوزراء!. وأمسكت ورقة وقلماً، وبدأت أدون النقاط التى أود من رئيس الوزراء أن يبرزها. وكتبت على ورقة صغيرة النقطة الأولى. وكتبت على ورقة ثانية النقطة الثانية. وسلمت صديقى والتر الورقتين وقلت له:

* أذهب إلى رئيس الوزراء وارجه بأسمى أن يضيف إلى خطابه هذه السطور القليلة المتواضعة. ولم أحتفظ بصور ما كتبت، ولكنى أستطيع أن أعيد نشر المذكرة الأولى، لأن المستر بولدوين تلاها فى خطابه، وكانت خاصة بشقيقى الذى وضعت على رأسه التاج فجأة وبسرعة غريبة.

وهذا هو نص المذكرة «لقد كان الدوق يورك والملك دائماً على وفاق كشقيقين،

والملك على ثقة بأن الدوق يستحق أن ينال تأييد الأمبراطورية كلها، بل هو واثق من أنه سينال هذا التأييد!. أما المذكرة الثانية فكانت تتصل بالدور الذى قامت به واليس فى حلقة الحوادث التاريخية التى أوشكت أن تصل إلى نهايتها. فقد طلبت من رئيس الوزراء أن يقول للشعب البريطانى:

«إن الشخص الآخر الوثيق الصلة بهذا الموضوع، قد حاول حتى اللحظة الأخيرة، أن يجعل الملك يعدل عن قراره الحاسم».

ولأسباب لم أعرفها حتى اليوم حذف رئيس الوزراء هذه الفقرة من الخطاب!.

وفى نفس الوقت أبلغت رئيس الوزراء أننى أود أن أذيع كلمة أودع فيها الشعب الذى أحببته وأحبنى!. وعارض الوزراء فى أن أتكلم!. وقال رئيس الوزراء:

– لا معنى لهذا الخطاب، أنه أشبه بالقاء خطبة مؤثرة على المسرح بعد نزول الستار على الفصل الأخير!.

ولكنى صممت على الكلام!. ولماذا لا أتكلم كما أشاء؟ أننى لم أعد ملكاً، ولم يعد فى وسع رئيس الوزراء أن يضع قفلاً على شفتى ليمنعنى من الكلام!.

إذا منعنى أن أتكلم من محطة لندن، فسأتكلم من باريس، من أى محطة أذاعة فى العالم.

وأسرع رئيس الوزراء إلى أمى طلب منها النجدة، واتصلت بى أمى بالتليفون وحاولت أن تثنينى عن القاء الخطاب، ولكنى لم أقبل رجاءها، ولم أقبل أن أغادر بلادى كما يغادرها الهارب .. بالليل!.

وجلست فى حجرتى أدون أفكارى على الورق، كانت أفكارى أسرع من قلمى وكنت لا أكاد انتهى من فكرة حتى تطرأ لى فكرة أخرى، فقد كان قلبى وعواطفى وجوانحى تشترك فى اختيار كلمات الوداع!

وملأت سلة المهملات بمشروعات الخطاب الممزقة، قبل أن أنتهى إلى المشروع النهائى!.

وشعرت أننى أجهدت نفسى فأطفأت الأنوار. ورقدت فى فراشى) .

طرحت هذه الجذور الأمير تشارلز، تحت ظلال مناخات أرثية متعاقبة عبر عديد من الأنظمة والبروتوكولات الملكية، والتى لا يسمح بالخروج عليها، أو الثورة ضدها، أو الاحتجاج حتى على بعض بنودها، أو حتى محاولة تغيير بعض جمودها، لأنها بروتوكولات وضعت فى دولاب التقاليد والأعراف الملكية، التى أصيب بها الأمير تشارلز منذ أن ولد وحتى الآن، فأصابته بكثير من العلل وحولت حياته إلى ثنائيات من السلوك الفردى، التى يتوه المرؤ فى محاولة تحليلها رغبة فى الوصول إلى ايقاعاتها النفسية والسلوكية فى داخله، وبعض قضايا الفكر التى عندما وصلت إليه لم تجد مكانها اللائق بها فى طموحاته لملك بريطانيا القادم بعد رحيل اليزابيث الأم، التى بدورها فقدت، من خلال هذا الأسر الملكى، الشعور بالدفء والحنان تجاه الغير خاصة فيما شاهدناه فى معاملتها لإبنها تشارلز وهو ما يزال صغيراً، عندما كانت تعامله كملك، وفشلت أن تعامله كأم، والتى بدورها ورثت عن أمها التى بلغت من السن ما يقترب من مائة عام هذا الموروث الجاف فى المعاملة، التى تخضع أولاً لمعنى القصر الملكى، لا منزل العائلة، التى حصدت بدلا من الحب الذاتية، وعدم الإطمئنان، وسوء الظن، والغيبة والنميمة والمنفعة الخاصة، والتكالب على المظهرية البادية فى هذه القصور الملكية، وفى اهتمام حقيقى بجوهر العلاقات الأسرية على مستوى الجماعة، ومن هنا ضرب فى أسقف وأرضها وجدرانها السوء، حتى بدأت فى التساقط المعنوى فى صورة فضائح وانحرافات متتالية أمام عين الجميع، خاصة عندما أصبحت ديانا من أرباب سكان هذه القصور.

كان تشارلز صناعة ملكية انجليزية، ورث عن أمه الجمود فى المشاعر، فمنذ أن كان صغيراً فى السابعة من عمره، أقبلت عليه أمه اليزابيث، بعد عودتها من رحلة طويلة، حين اصطف مع غيره من أفراد الأسرة المالكة لإستقبالها، كان فى داخله حلمه أنه الإبن، وأنها ستقوم باحتضانه وترفعه إلى صدرها وتقبله قبلة الإشتياق من الأم إلى وليدها، وأنها ستخرج عن بروتوكولات الثلج، ويفاجأ أنها مدت له كف يدها ذات الجوارب وصافحته بجمود مثل الآخرين، كان وقع هذا السلوك عميقاً فى نفسية تشارلز، والذى سيصاحب خطاه فى كل مراحل حياته بعد ذلك.

الأميرة ديانا
الأمير تشارلز
بورتريه

قبل أن تظهر ديانا فى حياة تشارلز كانت عزوبيته مليئة بالنساء، من كل صنف وكل لون، وكأن دينه المسيحى أباح له عشق الزنا والزانيات، خاصة كاميلا زوجة أندرو والذى كان هو بدوره عاشقاً لغيرها، يقومان بالخيانات التبادلية فى الحجرات المواجهة فى سان جيمس، وقد فاقت كاميلا غيرها من الزانيات عبر حياتها مع تشارلز، خاصة بعد أن تأكدت أنه لن يكون زوجاً لها، مهما قال لها وأقنعها إن ليس هناك مستحيلاً، وعاملته كاميلا على أن يكون هو عاشيقها الوحيد، رغم أنها كانت فى استعداد دائم فى تعاملها الشبقى مع الرجال، خاصة الذين لا يعرفهم أحد ولم تستطع وسائل الإعلام أن تصل إليهم، وتأكدت كاميلا أيضاً أنها لن تحظى بالرضاء عنها كزوجة فى القصر الملكى، وأنها تنال كل ترحيب بها إذا أثبتت لرجال ونساء القصر أنها لا تستطيع أن تكون زوجة لولى العهد.

وعندما بدأ التفكير الجدى فى البحث عن زوجة لولى عهد إنجلترا كان من أهم

شروط الإختيار أن تكون الفتاة عذراء لم تأكل جسدها موائد الرجال، ومن المؤكد أن أغلب فتيات بريطانيا حتى الآن لم تبق عذراء أغلب البنات يصبحن نساء فى سن باكرة عن سن البلوغ عندما يتحولن إلى بنات ليل فى لوكاندات وملاهى الدعارة الرسمية. وفكرت الملكة اليزابيث فى تلك الفتاة الصغيرة ديانا والتى أيدت هذا الإختيار سريعاً عشيقة الأمير كاميلا. وقالت فى داخلها وما المانع أن يتزوج وأن تكون له زوجة شرعية أمام الناس وأمام عدسات المصورين فى الحفلات العامة وفق نظم الحكم الملكى وأن يأتى منها البنات والبنين ليكون منهم ولى عهده لكن سأبقى أنا الزوجة الحقيقية التى عرفته منذ أكثر من عشر سنوات سأكون أنا عشيقته التى إنفردت به دون بقية عشيقاته لأننى أعرف ما أريد أقبض على كل مشاعره أمتلك أحاسيسه وأعرف عدد أنفاسه فى الثانية الواحدة، عرف الجنس مع غيرى، لكنه لم يعرف المتعة الجنسية إلا فى صدرى، أنا المرأة المتوجة الإنتصار فى حياته، إلىّ يأتى وإلىّ يعود، وفوق جسدى تأتيه كل مسرات العالم، أنا بالنسبة له كل النساء، وأيا كان من سيتزوجها ديانا أو غيرها هن زائرات حياته، أما أنا سأستمر وأبقى.

قبل أن تدخل ديانا فى حياة الأمير تشارلز كانت هناك حفيدة لورد مونتباتى عم الأمير والذى أشرنا من قبل أنه هو الذى أيد وساعد الأمير تشارلز على إقامة علاقة جنسية مع كاميلا التى لم تكن فى نظر العم إلا عشيقة للأمير، تلبى له رغبات غريزة جسده، ولن تكون العشيقة فى يوم ما زوجة لولى عهد بريطانيا، وكان العم يحتفظ بحفيدته أماندا لتكون هذه هى الزوجة التى تتوافر فيها جميع شروط الزواج الملكى، لأنها من نسل العائلة الملكية، كما أنها مثقفة وجميلة، وتحلم أن تكون هى الأميرة، بجانب أنها عذراء لم تعرف شبق الرجال، ولها حظوة وقبول عند الملكة اليزابيث، بجانب اعجاب الأمير بها ورفقتها له فى تجوالاته ورحلاته، ومع كل هذا سقطت كل هذه الأسباب فى زواج الأمير تشارلز منها، لأن من يلعبون لصالحه خلف الجدران ومن يهتمون باكتشاف الأسرار أبلغوه وأيقن من هذا، أن من أعتقد أن حفيدة اللورد عذراء كانوا واهمين، وأنا أماندا مثل غيرها من بنات الطبقة المالكة الأرستقراطية فى بريطانيا، وأنها على علاقة جنسية شبه قائمة من أحد رجال القصور الملكية، ومن المشهورين فى

مجال السياسة الدولية، ومن هنا غدرت صورتها حلم الأمير فى الارتباط بها كزوجة ملكية. وقد تحدثنا من قبل عن سارة أخت ديانا وأخفاقها من الزواج من تشارلز، بعد أن هاجمته بعنف وسخرت من رجولته، وتأتى صورة أخرى لعشيقات الأمير قبل أن يتزوج من ديانا، صوره «آنا والاس» الذى تعرف عليها عام ١٩٧٩، عبر أحد الحفلات الماجنة، وكانت من أصول ثرية أسكتلندية، هامت فى غرامه، واتخذها عشيقة، بينما اتخذته هو هدفا أن تكون من خلاله أميرة ويلز، وقد تعلم تشارلز الدرس من هؤلاء النساء، أن الحب ليس له هو كرجل وانسان، وأن العشق هو ثمن يدفع مقابل كسب، خاصة أن التى علمته هذا منذ البداية كاميلا، وجهرت به أمثال سارة ومن بعدها آنا والاس، عندما أظهر لها حقيقة عشقها، عبر لقاءات كثيرة، حين بدأ يتجاهل وجودها فى حفلاته أو فى حفلات غيره، وأن يتركها لغيره لترقص معه ويصاحبها بعد الحفل إلى فراش الدعر الملكى، واستطاعت الداهية اللبؤة كاميلا أن تبعد هؤلاء من حياته لتبقى هى أسما علما فى جسد الولهان بكاميلا باركر باولز.

* * *

كان تشارلز قد بلغ الثالثة والثلاثين، ورغم علم الملكة اليزابيث والأمير فيليب والده بكثرة عشيقات ابنهما تشارلز، وبالتالى كثرة فضائحه وانحرافاته مع النساء، حتى أصبح حكاية طويلة مسلية فوق ألسنة البريطانين، لكنها حكاية رديئة الصورة، لصورة مشروع ملك لم يحاول أن يحتفظ باطارها مذهباً لامع البريق أمام شعبه، لذا كان لابد من البحث عن زوجة له، ذات أصل أرستقراطى، عذراء لم يختبر جسدها رجل، بروتستانتينية المذهب، جميلة، رشيقة القوام، ولم يجدوا كل هذا إلا فى ديانا.

1961 – 1997